مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشأت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م
الجزء الثاني المجلد الثاني والخمسون

صورة الزهاويّ في مجلته

الدكتور أحمد مطلوب

عضو المجمع العلمي

الملخص :

كان جميل صدقي الزهاوي شاعرا ومفكرا ، ومن أوائل الداعين الى التجديد في مطلع القرن العشرين . وكان يبث أراءه التحررية في قصائده ومقالاته ، وأراد بعد أن اشتدت عليه حملة المحافظين أن يصدر مجلة (الإصابة) لتكون منبره للتعبير عن آرائه .

أصدر مجلته التي لم تعمر إلا شهورا ، وهذا البحث يتعرض لها ويبين خطتها وهدفها ، ويظهر آراء الزهاوي في الأدب والنقد واللغة والعلم ، مما تجلى في المجلة التي كشفت عن صورته الحقيقية في التجديد ومقارعة المحافظين .

المقدمـــة :

أبى جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ ــ ١٩٣٦م) وهو الشاعر الفيلسوف إلا أن يكون صحفيا ، فأصدر سنة ١٩٢٦م (مجلة الإصابة) في ستة أعداد هي :

١ ــ العدد الأول (١ ــ ٨) ــ الجمعة ١٠ أيلول .

٢ ــ العدد الثانـــي (٨ ــ ١٦) ــ الجمعة ١٧ أيلول .

٣ ــ العدد الثـــالث (١٧ــ ٢٤) ــ الجمعة ٢٤ أيلول .

٤ ــ العدد الرابـــع (٢٥ ــ ٣٢) ــ الجمعة الأول من تشرين الأول .

٥ ــ العدد الخامس (٣٣ ــ ٤٠) ــ الجمعة ٨ تشرين الأول .

٦ ــ العدد السادس (٤١ ــ ٤٨) ــ الجمعة ١٥ تشرين الأول .

وهي ((مجلة عملية انتقادية تصدر في كل أسبوع مرة)) فـــي ثماني صفحات من القطع الصغير ، وكان الزهاوي يـــأمل أن تصـــدر بست عشرة صفحة لولا أنها توقفت بعد ستة أعداد في ثمان وأربعيـــن صفحة .

حدد الزهاوي ــ صاحبها ورئيس تحريرها ــ أهدافها في العـدد الأول ، وهي :

١ ــ الدفاع عن الحق إذ جعل صحيفته ((مثالا للنضال عن الحق فـــي العلم والأدب)) .

٢ ــ منازلة أبطال الجديد من العلم والأدب أنصار القديم الذي ((لم تعد منه فائدة لأمة تريد نهوضا مع الناهضين في القـــرن العشـــرين)) وهذه المنازلة بيراع مرهف وحجج دامغة ، ولن تكون لهذا النضال ((رأفة بمن يتشيعون للباطل ، مهوشين بعصيهم شـــأن العميـــان الجاحدين للنور على المبصرين القائلين به)) .

٣ ــ نقد ما ينشر من أدب وتقويمه ((والباعث الأكبر لهذا النضال وخوض معمعان هذه الحرب السمية هو أنا قد ألغينا العربية في العراق لا تستغني في حالها الحاضر عمن يقوّم أودها بالتنبيه على ما يقع من الخطأ في كثير من القصيد والمقالات مما ينشر في صحفه . ولا ينحصر هذا الخطأ في اللفظ ، بل يتجاوزه الى المعنى الذي هو كل المراد من اللفظ)) .

٤ ــ غسل وجه الأدب بالماء السُخْن ليخرج للناس أبيض وضاح الجبين ، خلوا من المبالغات والتقليد .

٥ ــ إعادة جلال العربية وروعة الشعر بتحريره من قيوده الثقيلة .

٦ ــ الإشارة بالجديد ، ونبذ القديم الرث الخالي من الإحساس .

كان الدافع الى تحديد هذه الأهداف ما رأى عليه الأدب إذْ هو ((يمشي تارة القهقرى كأنه في سيره قَد نَسيَ في أحد المنازل التي خلفها وراءه شيئا ثمينا لديه ، وأُخرى الى الأمام متباطئا (مشي المقيد في الوحل) وما قيده الذي يرسف فيه إلا الجمود على تقليد قوم موتى قد مضى زمانهم ، وكان شعورهم مخالفا لشعورنا ، وحاجتهم العصرية مباينة لحاجاتنا)) .

لقد آلى الزهاويّ على نفسه أنْ تؤيد مجلته ((الحق في كل نقد تأتيه ، وتزهق الباطل ، ولا تعبأ بالجلبة التي سيحدثها حولها الصاخبون ممن يتناول نقدها شعرهم أو نثرهم ، وأنْ لا تُجاري السفهاء في سفاهتهم ، بل تمرّ باللغوية كريمة ، وتقول لمن يخاطبها من الجاهلين سلاما)) .

ولم يَنْسَ الزهاويّ ــ وهو يحدد خطة مجلته ــ أنَّ في العراق ((مَنْ يغيظهم نقد ما ألفوه ، ودرج عليه آباؤهم الأولون ، فيناوئون كل إصلاح بما أُوتوه من حَوْل في ضروب التخرص والخداع)) .

وسعى الزهاويّ الى أنْ تكون لغة المجلة سهلة العبـــاره ((مـــا فيها تعقيد أو عوج فيسهل فهم القراء إياها ، وتتجنب الإطالة ، وتلـــتزم الإختصار ، فإنّ الطباع تنبو عن فضول الكـــلام ، والأرواح تملـــها ، وهي مطلقة لا تتقيد بالأبواب والفصول فتكون محتوياتها كأزهار الربيع المختلفة ينبت الأحمر منها في جنب الأبيض والأزرق والأصفر ، كأنها الأبيض والأزرق والأصفر ، كأنها خليط من قوس قزح)) .

والزهاوي ينطلق في هذا المبدأ من رأيه في بنـــاء القصيـــدة إذْ نَعى على الشعراء المحدثين عدم اشتمال القصيدة الواحدة على مطـــالب مختلفة ، لتكون أشبه بباقة من مختلف الأزهار مع تناسق في ألوانها .

هذه أهداف مجلة ((الإصابة)) وخطتها ، أما القضايـــا التـــي عالجتها في أعدادها الستة التي صدرت فهي :

١ ــ الأدب ٢ ــ النقد ٣ ــ اللغة ٤ ــ العلم .

(١)

بدأ الزهاويّ كلامه على الأدب بمقالة ((كلمة عن الأدب فـــي الماضي)) (٢ / ٩) وقال في مطلعها : ((اظْلَمَّ جو الأدب في القـرون الوسطى حتى لم يشاهد فيها إلا ذنب طويل ضئيل النور لكوكب غـارت منه النواة في أُفق الماضي)) وكان الشعر صناعات بديعية من جنـــاس وطباق واستخدام وتورية ومراعاة النظير ، الى غير ذلـــك ممـــا هـــو ((لعب بالألفاظ ، يخدع الأغرار ، ونزوح عن الشعر والمعاني الواسجة به ، وقشور قد فسد لبابها ، وسخافات قد أُفرغت في مدائح (ومراثـي) لا صلة لها بالشعور ، وإغراق في الكذب ، وتقليد القدماء يسأم ســماعه ذو الذوق السليم)) .

ويسعى الزهاويّ من هذه المقالة الى أَنْ يكون التجديـــد سـمة الأدب الحديث ، وأنْ يتحرر الشبان من ((الأَدب القديم الـرث المفعـم مبالغات ومناقضات ، الخالي من الشعور الذي هو كـل المـراد مـن الشعر ، ويعضدوا الجديد الغضَّ منه :

سئمتُ كـلَّ قديـمٍ عَرَفْتُه في حياتـي
إِن كان عندك شيءٌ من الجديدِ فَهـاتِ

ولاينخدعن أحد منهم بمن يطري القديم باسم الجديـد ، أَو يـذم الجديد باسم القديم ، وليكن ميزان الجديد كل ما هزَّ النفوسَ ، وعَبَّرَ عن الشعور ، وميزان القديم كل ما مجَّه السمع ، وعافته النفس مما لا علاقة له بالشعور .

إِذا الشِّعْرُ لم يَهزُزْكَ عندِ سماعه فليس خليقا أَنْ يُقال له شِعْرُ

ورسم الزهاويّ في مقالة ((الصادق والكـاذب مـن الأدب)) (٣ / ٢١) حدودَ كل من الصادق والكاذب ، وقال : ((الأَدب الصـادق كفلق الصبح يفيض بياضه فيملأ الأجواء ، ويشاهد في كل لحظة أَجمـل مما كان قبلها ، والأَدب الكاذب كغسق الليل كلما أَرجعت اليـه البصـر زاد في عينك قبحه . والأَدب الصادق ذو روعة قد ولعت بـها الأرواح فوقفت وراء الأسماع قريبة منه تسمع كلمة الساحر فـلا يفوتـها منـه شيء ، والأدب الكاذب يلج الأُذُن فتلهو الروح عنه وإذا سـألتها مـاذا سمعت أَجابت : لا أَدري . والأَدب الصادق يصدع في كل موقـف لـه بالحق ، وينطِقُ عن شعور يختلج في صدره ، لسانه ترجمان جَنانـه ، وقلبه ينبوع كلمه ، والأَدب الكاذب يقذف بالباطل على الحق ، ويركـب الشطط غرورا ، ويتخذ الغلو زخرفا ، ويرى الجميل فيقـول بقبحـه ،

والقبيح فيقول بجماله ، ويحدث لا عن شعور ، ويكرر أقـــوال غـــيره مقلـــدا)) .

وعَبَّرَ عن سخط المقلدين الذيـــن رأوا بشـــائر الأدب الصـــادق فسخطوا عليه ، وأخذوا يتحصنون ((بالكذب ، ولسوف ينســـف الحـــق حصونَهم إذا ألقى قنابله فيجعلها قاعا صَفْصَفا)) ، إنـــهم ((يتســـترون بظلام الليل فاذا وضح الصبح بانت عوراتهم فكانوا موضع الهزء مـــن الناظرين)) .

وسَخِرَ ممن يغيرون الأسماء فيطرون القديـــم باســـم الجديـــد ، ويعيبون الجديد باسم القديم ، وقال لن ينفع ((تغييرهم الأسماء فان القديم قديم ، والجديد جديد مهما غير اسمهما ، ذاك يُعرف بكذبه وتقليـــده ، وهذا بصدقه وابتكاره ، ذاك ببلادته وجموده ، وهذا بشعوره وإحساسه ، ذاك قبر يمثل الموت ، وهذا مهد يمثل الحياة ، ذاك أغلوطة المـــاضي ، وهذا حكمة المستقبل ، ذاك ورق الخريف الذابل ، وهذا زهـــر الربيـــع الغضّ ، ذاك غراب البين ، وهذا عندليب اللقاء المغرّد :

يُبدي الجديدُ شعورَ النفس فهو به حيٌّ بثوب الشباب الغض ريانُ
وفي القديم المعاني من برودتهـــا موتى عليها من الألفاظ أكفـــانُ

وظلت قضية القديم والجديد تشغل الزهاويّ ، وعقد مقالة فـــي مجلته بعنوان ((بين الجديد والقديـــم)) (٤ / ٢٩) ، بدأهـــا بقولـــه : ((الحياة كلها حرب ، وللعلم والأدب اللذين هما من ولائدهما نصيب من هذا العراك الطاحن ، وما من يوم يمرّ إلاّ وفيه غارة شعواء من الجديـد على القديم ، والقديم على الجديد ، وما الغلبـــة والســـلطان إلا للقـــويّ منهما .

إنَّ بين الأَحْياء من كل جيل لنزاعا على البقاء يجيشُ
الضعيفُ الضعيفُ يهلك منها والقويُّ القويُّ منها يعيشُ

وما تقدم الجديد إلا ماشيا فوق جماجم القديم وأشلائه مندفعا الى الأمام لا يسمع أنين الجرحى ، ولا يرحم حشرجة الصرعى)) . واستنكر أنّ يكون الشعر كاذبا ، وقال هذا ما ذهب اليه المذهب الجديد مستنكرا الكذب في الشعر الذي قيل إنّه لا يعذب إلاّ به .

ورأى أنّ الجامدين على القديم ((كانوا في ضلال مبين ، وأنّ الشباب ناهض في كل قطر ، لا تستطيع الأيدي المرتجفة من الوهن ــ مهما أمسكت بأذياله ــ أنْ توقفه عن سيره الى الأمام :

وليس من قوة في الكون قاهرة تستطيع أنْ تقعد الأقوامَ إنْ نَهضُوا

لقد مضى الزمن الذي كان يردد الشاعر فيه صدى مَنْ تقدّمه مقلدا إياه فينصت الناس له ، وجاء الزمن الذي لا يسمع إلا لمن ينظم عن شعور يختلج في نفسه ، هو وليد عصره الفياض ، شعور بالحياة والطبيعة قد هذّبه العلم وراضته الاختبارات)) .

ولا يريد الزهاويّ بمقالته هذه ((حلها من قيمة كل قديم في الأدب ، فإنّ من القديم ما هو جيد في كل عصر وإنْ تعاقبت عليه الأحقاب ، وعركته العصور ، وإنْ كان هذا القسم قليلا ، ومن الجديد ما هو صدى القديم ليس فيه من الشعور ما تلذه الأسماع)) :

وأطلق على المقلدين الذين يمارونه اسم ((ضفادع الأدب)) وقال : إنّ ((نقيقهم لا يشوش على الضاربين على أوتار الحقيقة ألحانهم التي يتغنون بها ، وإنّ ما يقلدون فيه من سبقهم قد بار سوقه ، فما له بين أبناء هذا العصر المتشبع بروح العلم من شارٍ وليس الذي ينظم عن دافع في نفسه هو شعوره كمن ينظم طمعا في مال يكسبه من وراء المدح ، أو ينظم لمجرد أنْ يُقال إنه ينظم ولا يجعل القديم جديدا ، والجديد قديما تغييرُا سميهما :

إنَّ الجديدَ حصيفٌ إنَّ القديمَ بليدُ

بيــن الجديــد وبين القديمِ بَوْنُ بعيــدُ
فما الجديــدٌ قديــمٌ ولا القديمُ جديــدُ
هذا يشــجّ ضِراما وذاك فيه خمــودُ
هــذا يفيضُ شعورا وذاك فيه جُمــودُ
هذا يجــودُ بشــدْوٍ وذلك ليس يجــودُ
هــذا بكــلّ مكــان غضٌّ وذلك حَصيدُ

ولبيٌّ الزهاويّ طلبَ أحد الأُدباء في تحديد القديــم والجديــد ، ونشر مقالة ((تحديد القديم والجديد)) (٥ / ٣٥) بدأها بقوله : لاشــيءَ مما له تعلّقٌ بحياة الإنسان إلاّ وهو يتطور تِبْعا لتطور الانسان نفســه ، ومن جملة المتطورات اللغة والنثر والشعر . ولا أقصد بالأدب إلاّ ما له روعة ذات أثر في نفس سامعيه سواء كان منثور أو منظومــا . ولمــا كانت روعة الشعر أكبر ــ للموسيقى الخاصة بالوزن تلك التي تهيج في الإنسان الإحساس كأنها تكهربه ــ عنيت بالأدب إياه)) .

وذكر أنَّ الشعر قد تطور في الغرب أكثر منه في الشرق ، وقال إنَّ ((كل تطور فيه جديد بالنسبة الى ما تقدمه ، وقديم بالنسبة الى مــا تأخر عنــه ، وأنا لا أسمي جديــدا إلاّ ما كــان علــى آخــر طــراز من التطور)) .

والقديم ــ عنده ــ هو جمود الشعر جمــودا ((أشــبه بجمــود الموت)) بحيث ((لا ينبض منه عِرْقٌ يُستدل به على أنه حيّ)) ولــم ((يكن إلاّ خيالات كاذبة ومبالغات خارجة عن حدود الطبيعــة وتقليــدا خلوا من الشعور)) وهذا ما يسميه ((القديم)) .

أما النزعة الجديده فهي بالإجمال الرجوع عن التقليد الى الشعور ، وقد ((جاءت من الغرب تحمل في أردانها كلَّ ما يمس النفس ويهيج فيها الإحساس ، أو يصور الطبيعة ، وهي اليوم تتازع القديم البقاء وقد ظهرت عليه في المهجر ، وكادت تظهر في مصر ، وهي في بغداد تصارعه صراع الواثق بقوته)) .

والزهاويّ حينما يحدد القديم والجديد لا يريد أنْ يقول إنَّ كل ما قيل في الأزمنة الغابرة قديم ، وإنَّ كلَّ ما قيل في هذا العصر جديد ، فإنَّ ((في ما قيل في تلك الأزمنة ما هو جديد في كل عصر غير أنه كدُرَّةٍ ضائعة بين رُكام القديم)) ولذلك فالزهاويّ لا ينظر الى القديم والجديد من حيث الزمان بل ينظر اليهما من حيث النزعة والاعتبارات التي ذكرها .

وأبدى رأيه في الشعر وقال : ((وإذا ألقيت اليوم نظرة على الشعر في بغداد تجد أنَّ أكثر قارضيه قد افتكروا بعقل غيرهم ، وتظاهروا باحساس ليس لهم ، فنظموا ما هو أشبه بالصَّدَى الذي تردده الكهوف للأصْوات ، ولا تكاد تسمع من نظم عن شعور في نفسه ، وما أُولئك إلاَّ نظامون يقلدون أمثلة سبق زمانها ، فهناك ما شئت من غلو وإغراق وتناقض ، وقلما تجد بين القصائد للشعراء فرقا إلاَّ من حيثُ المتانةُ والضَّعْف في التراكيب ، ذلك لأنهم يضربون جميعا على وتر واحد)) .

وناجَى الزهاويّ الشعْرَ في مقالته ((أيها الشعر)) (١ / ٣) التي افتتح بها العدد الأول من مجلته ، وفيها عَبَّرَ عن صداقته للشعر منذ أنْ كان يافعا وكان الشعر شيخا هرما ، وتعاهدا على أنْ يبقيا صديقين متلازمين ، وكان كلما تقدم في السن تأخر الشعر ، ثم صعد في سلم السنين ، وانحدر الشعر ، وكانا يتناجيان ويتناغيان حتى إذا ما صعد

هو ، وانحدر الشعر ، غنيا آخر أُغنية ، وافترقا بعد ذلك ذاهبين الى وجهتين مختلفتين .

والزهاويّ في هذه الكلمة كأنه يُريد أنْ يقول إنه سيجدد في الشعر ما وسعه التجديد ، ولذلك ختمها بقصيدة ((الشعر)) التي قال فيها :

يا شعرُ ثِبْ وتجددْ وعلى القديم تَمَرَّدْ
يا شعرُ لا تجمد على ذاك الرثيث الأَوْرَدْ
اليومَ كلُّ الحمْدِ للشعر الذي لم يَجْمُدْ
اليومَ لا يمتازُ غيرُ الشاعر المتجدِّدْ

إنه يدعو الى تجديد الشعر ، ولكن الى أي حد تطور ؟ هذا ما عرض له في مقالة ((الى أي حد يتطور الشعر)) (٦ / ٤٤) وقال إنَّ الشعر كان في الجاهلية خُرافيا ، ثم تطور ((فكان حقيقيا يُعْرِبُ عن شعور أهله ، ويصف الأشياء كما هي ، وكان يُغَنَّى به في الأفراح والحروب ، ويُبكَى به في الأحزان والمناحات . وما اختلاف البحور إلاّ لاختلاف الألحان ، فكل بحر من البحور التي جمعها الخليل لحن خاص للعرب . ولم يكن يعيب الشعر يومئذ شيء ، فقد كان يبث به قائله شعَور نفسه كما هو المطلوب منه في كل عصر ، ولا ينتقص اليوم إلاّ من وجهة ضيق الشعور فيه بالنسبة الى سعته في هذا العصر ، على أنَّ هناك ما يمثّل الشعور في كل عصر ، وإنْ كان قليلا ، وهذا القسم هو الشعر الخالد تراه في كل زمان طريقا لا يُخلق ديباجتَه تعاقبُ العصور والأحقاب)) .

وخطا الشعر في العصر العباسي خطوة ليست بالقصيرة في الأساليب والمعاني ، وضَعُفَ حينما ضَؤلت الحضارة العباسية ، وأخذ

قائلوه يتوسعون في (البديع) وصناعته ، ثم أخذ قلبه ينبض ، وأخذت الحرارةُ تدبّ في جسمه في نهاية القرن التاسعَ عَشَرَ ، ثم فتح عينيه في أوائل القرن العشرين ، وقام ينفض عنه غبار القبر الذي كان مدفونا فيه . ((وقيامه هذا أكبر تطورا له ، وسبب هذا التطور هو التقاحه بأدب الغرب كما التقح في عهد العباسيين بأدب الإغريق ، غير أنَّ هذا التلاقح لم يكن عاما فإنّ أكثره بقي كما كان مفعماً معاني لا تمتّ الى الشعور بقرابة ، فهناك التقليد ، وهناك المبالغة ، وهناك التناقض والسخف)) .

والشعر لا ينمو النمو المطلوب في وسط غير ناهض نهضة علمية ، ولذلك ((لم يَشْدُ بهذا الجديد إلاّ مَنْ سما شعورهم وغزر علمهم ، وهؤلاء قليلون في العراق ، وأكثر من القليل في المهجر ومصر وسورية . ومن المؤمل أنْ تصدق نهضة العراقيين فينبذوا الأدب القديم الرث ، ويلتفوا حول الغض الطريف . ولا تحسبن الشعر سوف يبقى على تطوره الأخير هذا ولا يتطور الى أحدث منه ، فهذا الجمود يخالف سُنَّةَ الارتقاء ، بل الشعر تابع في تطوره تطور الشعوب ، ولما كان تطور الشعوب مستمرا فتطور الشعر مستمر ، وسوف يأتي جيل يستخف بضيق الشعور في جيلنا هذا السعة شعورهم كما نحن نستخف اليوم بالشعور الجاهلي لضيقه)) .

هذا موقف الزهاوي من الأدب ، ومن الصراع بين القديم والجديد ، وقد نشر في مجلته بعض القصائد التي تؤيد رأيه في الشعر والتجديد ، والقصائد التي نشرها هي :

١ ــ قصيدة ((ياشعر)) (١ / ٤) ومطلعها :

يا شِعْرُ ثِبْ وتجددْ وعلى القديم تمردْ

وأوضح رأيه في الشعر الجديد :

الشعرُ إن يصفِ الحقيقةَ مثلما هي يَخْلُدْ

والشعرُ يحيـــا بالشعور الى زمان سَرْمَدْ

والشعْرُ إنْ لم يَعْلُ معناه يَمُتْ في المولِدْ

٢ ــ قصيدة ((إلاّ هواك)) (٢ / ١٢) التي خاطب بها ليلى ، وتحدث فيها عن انصرافه الى العلم الذي فتح له طريق الحرية :

ثم انصرفتُ الى العلومِ وما هنالك من حباكِ

حتى غدا منهنَّ فكــري بالكواكب ذا احتكاكِ

حــرا يطيــر الى الثريا تــارةً والى السِّماكِ

٣ ــ قصيدة ((أتحراك ثم لا أراك)) (٣ / ٢٣) التي خـــاطب بـــها ليلى ، وأكد فيها أنَّ شعره تعبير عن نفسه :

أَنْشديني في الشعر يرسل شجوا فهو يحكي صبابتي ونُزوعي

أَنشديني في كــل لفــظٍ رقيــقٍ وأَنْشِدِيني في كل معنى بديعِ

٤ ــ قصيدة ((النقد كفاح)) (٤ / ٢٧) وفيها أبدى رأيه في النقد ردا على النقد الذي وُجِّهَ اليه :

إنما النقدُ في الحياة كفاحُ تُثخنُ الجاهلينَ فيه الجراحُ

والذي يفعل اليراعُ شبيهٌ بالذي تفعل الظُّبى والرماحُ

واذا النقدُ كان حِقْدا وقذفا وسِبابا فــذاك بِئْسَ الســلاحُ

ولم يَنْسَ في هذه القصيدة أنْ يبث رأيه في الشعر الجديد فيقول :

رُبَّ شعرٍ يفيض منه شعورٌ حين يُتْلَى كما يفيض الصباحُ

ولقد كان الكذبُ فيه مباحا قبل هذا واليــوم ليس يُبــاحُ

ويصرّ على دعوته الى التجديد :

أَيُّها الشعْرُ لستُ منصرفا عنك الى أَنْ يتمَّ لي الإصْلاحُ

أيُّها الشعْرُ قَيَّدوك ولا أهــدأُ حتى ينفك منك السَّــراحُ

أرذلُ الشعر ما اذا أنشــدوه فاليــه الأسماع لا تَــرْتاحُ

وأجلُّ القريض ما هزّ قوما فَغَدَوا للمجد الأثيل وراحوا

أنا في بحره .. أعوم وهم في جَدْولٍ منه ماؤه ضَحْضاحُ

٥ ـ قصيدة ((على قبر ابنها)) (٥ / ٣٧) وهي نواح امرأة علــى وليدها ، وقد ترمز الى المحافظين الذين وأدوا الشعر الجديد ، ووقــف الزهاوي يبكيه :

بين شتى الأجْداث قبر جديدُ يرقد اليوم تحته ابني الوحيدُ

ساكتا وهــو البلبلُ الغريــدُ إننــي لا أراه حيــن أريــدُ

الثّــرى بيننا حجــابٌ شديدٌ فهو عني قاصٍ ومني دانــي

٦ ـ قصيدة ((حقائق متفرقة)) (٦ / ٤٥) وفيها نص على الشــعراء المتكلفين :

لاشيءَ يهتــك شاعـــرا مثل التكلف في القوافـــي

ما المــاءُ في بحــر طمــا نزر لينقصــه اغترافــي

الليل قد غطى فجاجَ الأرض بـــالشعـــر الغُـــدافِ

وأتـــى النهـــارُ وراءهُ فجــلا يبيّن كــلّ خــافِ

وهذه القصائد نظمٌ لآراء الزهاوي في الأدب وتجديد الشعر .

ولم يقف عند قصائده وإنما أخذ ينشر ترجمة لرباعيات الخيــام التي أُعجب بها الأجانب وترجمها الشاعر الانكليزي (فتيزجرالد) الــى الانكليزية ، وترجمها العرب في القرن العشرين وأقدم ترجمة نثرية لــها ترجمة احمد حافظ عوض سنة ١٩٠١ م ، وترجمة عيســى اسـكندر المعلوف سنة ١٩١٠ ، وترجمة وديع البستاني سنة ١٩١٢ ، وترجمــة أحمد رامي سنة ١٩٢٤ م وتوالت الترجمات ومنها ترجمــة الزهــاوي

التي بدأ بنشرها في مجلته ((الإصابة)) في العدد الرابع الصادر يوم الجمعة الأول من تشرين الأول سنة ١٩٢٦ ، ونشرها كاملة ببغداد سنة ١٩٢٨ م ، بعد أن نشرها تباعا في مجلة (الحديث) الحلبية سنة ١٩٢٨ .

نَصَّص الزهاويّ للرباعيات مقالة بعنوان ((كلمة عن الرباعيات وعمر الخيام)) (٢ / ١٤) بدأها بقوله : ((إنَّ من الشعر ما هو كأمواج البحر يأتي أزرق مندفعا فيصدم شاطيءَ النفس بقوة اندفاعه ، ويتكسر عليه مُزْبِدا ، وينتفض فاذا هو أبيض جميل قد ازدان بكل ألوان السماء ، ويستقل كل من هذه الأمواج بنفسه يفصله عن غيره وادٍ عميق هو الشهيق الذي يُعقِب زفير البحر العجاج يوم تهب العاصفة ، وإن كان صدر الخضم الذي تبدو عليه هذه التنهدات واحدا . والطبيعة تجيش في فكر الشاعر كما تجيش في البحر الزاخر)) . وقد صَوَّرَ بعض شعراء الفرس هذه الأمواج في شكل رباعيات ، ومنهم عمر الخيام الذي كان هو رباعياته ، ورباعياته هي عمر الخيام ، وإنّها أمواج ذلك الفكر الواسع الثائر ، وقد نظم ((ذلك المفكر الكبير كل اندفاعات فكره في أربعة أشطر فجاءت الرباعيات كأنّها دساتير للعلم والاجتماع)) .

وأشار الزهاويّ الى ترجمة الرباعيات الى اللغات المختلفة وقال : ((إنَّ كثيرا من رباعياته ليس من الروعة بالمكان الذي يجدر بالاكبار ، بل هناك الرائع السمين ، وهناك التافه الغث ، ولعلَّ الكثير مما يُعزى الى هذا الحكِم هو مدسوس في رباعياته)) .

وانتقد بعض الترجمات العربية فقال : ((وقد رأى بعض أُدباء مصر من أبناء العربية أنْ لا تحرم لغتنا المحبوبة هذا الأثر الجميل الذي ترجم الى أكثر اللغات الحية فترجموها (قسما منها) من الانجليزية الى العربية سباعيات وخماسيات وأبعدوها عن الأصل الفارسيّ أضعافَ ما

أبعده أدباء الغرب عنه لضرورة التصرف الذي يقتضيه الوزن والقافية ، والنقل من لغة الى لغة ، وعَرَّبَها بعضُهم رباعيات من الأصل الفارسي غير أنّ ما شاهدته من نماذجها لم يكن فيه من الروعة ما في الأصل الفارسي ولا تلك الموسيقى الشعرية . وقد ترجمها الى التركية نثرا بعض أُدباء الأتراك ففقدت الموسيقى التي هي خاصة بالنظم)) ، ولهذا أَحَبَّ أَنْ يترجمها عن الفارسية رباعيات ، وكان عباس محمود العقاد قد طلب ذلك منه حينما كان نزيل مصر ، وصمم على ترجمتها بعد عودته الى العراق وإن اعتذر الى العقاد يومئذ .

اختار من الرباعيات مائة وثلاثين رباعية ((هي أحسن رباعيات الخيام ، وهي التي تنمّ عن فلسفته في الحياة ومذهبه في الاجتماع والكون ، وشكه وإيمانه)) وترجمها نثرا ونظما ((أما النثر فللموازنة بين المعنى الذي أراده عمر الخيام والمعنى الذي سبكته نظما ، ليعرف المقدار الذي تصرفتُ فيه لضرورة الوزن وما يقتضيه الأُسلوب العربيّ من التغيير ، وأما النظم فلأَجْلِ أَن أُغني لأَبناء العربية بموسيقى مثل موسيقى الخيام التي كان يَهزّ بها سامعيه من أَبناء لغته)) ثم قال إنّه حافظ على أكثر ما في الرباعيات الأصلية من الروعة ، وتكاد ترجمته لكثير منها تكون حرفية ، وتصرف في بعضها تصرفا لم يخلّ بالمعنى ، ولا سيما البيت الأول الذي يأتي به الخيام ــ في الغالب ــ تمهيدا للبيت الثاني .

وجعل الرباعيات ثمانية أقسام : الأول في الخمرة ، والثاني في الكوز ، والثالث في التذمر ، والرابع في العظة وما يتعلق بالأَخلاق ، والخامس في الحكمة والشك ، والسادس في العشق ، والسابع فيما خاطب به الله ــ عز وجل ــ والثامن في مطالب شتى . وأَثبت الأَصل الفارسيَّ من كل رباعية في الصدر ، ثم أَتبعه ترجمته نثرا ثم نظما ،

ووشّاها باسم فرع الشجرة الهاشمية الملك فيصل الأول ــ رحمه الله تعالى ــ ورجا من الله أنْ يحقق به ((آمال الأمة العراقية ويسهل لها أنْ تتقدم في ظل ملكه الوارف حتى تعيد مجدها الغابر ومنزلتها الرفيعة بين الأمم ، ويجعل للأدب العربيّ في أيام شوكته دولة تضاهي في رفعتها دولة الأدب في الغرب فتزهر في العراق الآثار الثمينة بتنشيطه ، وتبقى خالدة في طيات الدهر ترتلها الأجيال المقبلة مقرونة الى اسمه العظيم)) .

نشر الزهاويّ اثنتي عشرة رباعية قبل أنْ تتوقف مجلة ((الإصابة)) عن الصدور ، وقد جاءت الرباعية الأولى هكذا :

١ ــ الأصل الفارسي :

إين چرخ فلك بهر هلاك مَنْ وتو

قصدي دارد بجان باك مَنْ وتو

برسبزه نشين وباده خوردير نماند

قاسبزه برون دمد زخاك مَنْ وتو

٢ ــ الترجمة نثرا :

((إنَّ هذا الفلك الدوّار له قَصْدٌ سيءٌ بروحي وروحك يريد إزهاقهما فتبوأ العشب واشْرَبْ فوقه الخمرة إذ لا يبطئ أنْ ينبت العشب من ترابي وترابك)) .

٣ ــ الترجمة شعرا :

اغنم العُشْبَ فهو أخضرُ غضٌّ وترشّفْ كَأْسَ الحُمَيَّا عليه

قبلما يبدو العشبُ أخْضَرَ غَضّا من ترابٍ يوما تصيرُ إليه

(٢)

أثار الزهاويّ حركة نقدية واسعة ، وكانت له مع الأدباء والمفكرين معارك أدبية وفكرية ، وكان النقد يقض مضجعه ويطرد عن عينيه النوم ، وكان يرى أنّ أكثر النقد كان سَبًّا وطعنا وقَذْفا ، وفي قصيدته ((النقد كفاح)) (٤/ ٢٨) تحدث عن ناقديه فقال :

نقدَ الجاهلونَ شعري كما تنقدُ عُمْيٌ ذُكاءَ وهي صُراحُ
وألحوا فيه سَفاهًا ولكنْ لم يضر شعري ذلك الالحاحُ
فهو الحقّ ماعليه غبارٌ وهو الجدُّ ليس فيه مِزاحُ
لا تبالي باللكْنِ قد عييت ألسنة حينما تقول فِصاحُ
فرحوا إذ غضضت عنهم فلما جئتم زالت تلكم الأفراحُ
ثَم أشْبعتهم بشعري صَفْعا فغدوا يهربون مني وراحوا

هذه نفثة أطلقها الزهاويّ وقد تكاثر النقاد وعابوا عليه شعره ، وسخروا من فلسفته وآرائه ، وتحفل كثير من قصائده بهذه النفثة ، وأراد أن يقارن بين النقد في العراق والنقد في الأقطار العربية فنشر في مجلته ((النقد هناك وهنا)) (٤ / ٣١) ، قال في مطلعها : ((قلما تجد في مصر أو سورية ناقدا يخرج عن موضوع نقده الى ما لا علاقة له به من ثلْبِ مَنْ ينقده والحط من كرامته ، بخلاف الكثيرين في بغداد ، فإنّ نَقْدَ هؤلاء يبدأ بالتعريض والكنايات وينتهي بالسب والشتيمة ، ولا ينسب هؤلاء ــ في الغالب ــ الى خصومهم في مجادلاتهم إلا ما تتصف به أنفسهم ، كأنهم يخشون أنْ يذكرهم من ينتقدونه بعيوبهم فيسارعون الى نسبتها اليه ، ويبالغون في التحفظ فيخفون أسماءهم وراء أسماء مستعارة ليشتموا ما شاءوا ، ويبقى أديمهم سالما (أنظر الى المقال المنشور في عدد يوم الأحد من الاستقلال

بامضاء فاهم ــ والمقال يعكس صاحبه سواء كان للرصافي أو الأثري أو لكليهما ، ولا دافع لهم الى مثل نقدهم إلاَّ التشفي ممن يعادونه ، وإطفاء ما في صدورهم من نار الأحقاد التي تأكل أفئدتهم ــ إنْ لم تجد ما تأكله ــ وتراهم إذا رجعوا الى موضوع النقد أخرج كل منهم ذراعه التي يتأبطها ، وما ذراعه إلاَّ معرفته القاصرة ، وأخذ يقيس بها القول ، فإنْ رآه مخالفا لها عَدَّه خطأ ، أو موافقا سكت عنه ، ولا أدري لماذا تكون ذراع مثل هؤلاء مقياسا ، ولا تكونه ذراع القائل)) . وختم المقالة بقوله : ((وقد تسمع لهم ثرثرة ، وتسمع صخبا وضجيجا يريدون به التضليل ، ولا يضل القصد إلا الجاهلون . أما السبب في أنَّ النقد هناك يخالف النقد هنا فهو أنَّ الناقدين في ذينك القطرين قد وصلوا في رقيهم الى درجة يخشون فيها على شرف أنفسهم من الخروج على الآداب ، وأنَّ اكثرهم في بغداد جاهلون ، والجهل يُفضي الى عدم المبالاة كما يقذف الطفل الحردان بالحجر على وجه مخاصمه من غير أنْ يتبصَّر بالعواقب)) .

ويبدو أنَّ رفائيل بطي كان يثير المشاكل أمام الزهاوي ، ويتحدث عنه في مقالاته بما لا يرضيه ، ولذلك بدأ في العدد الأول من مجلته بنشر مقالة ((رد على مقال رفائيل بطي)) (١ / ٥) ونسب الرد الى (ابن الحقيقة) وكان الرد قاسيا ، وقد جاء في مطلعها : ((أحللت نفسك يارفائيل محل العارف بضروب الأدب وأحدث صوره ، وأخذت تعدّ لنا الموضوعات التي يجب أنْ ينظم فيها شعراؤنا مما استظهرته من بعض الكتب الحديثة : ((العواطف ، والآمال ، وبسمات الوجوه ، وكآبة الموت والعقائد ، والعادات ، والأخلاق ، وسائر النظم الاجتماعية التي هي جوانب الحياة ومظاهرها . هذه هي موضوع الأدب

في رأي الأدباء المحدثين الذين يحتمون على الأديب الاشتغال بها ، وبذل جهده في تقصيها)) .

وأنكرت على أدباء العراق خوضهم إياها وتبريزهم فيها تحاملا منك على الحق وعداء لمن أقصاك عنه بعد أن عرف منك ما عرف كما هو معلوم للجميع . ولكنَّ الكلام وحده بدون ايراد الحجة لا يُطفىء من غلَك ، فإنْ كنتَ صادقا في دعواك أنّ هناك ــ سواء في الشرق أو الغرب ــ من نظم في هذه الموضوعات فأجاد فيها أكثر من بعض أُدبائنا فأوْردْ لنا ذلك أو ترجمه لنا ونحن نورد لشاعرنا ما يدخل في هذه الموضوعات وحينئذَ يرى القراء رأيهم فيهما ، ولكن الحقد يا رفائيل كالحب يُعمي ويُعمّ ، ولا إخالك فاعلا ، فقد عهدتك تهرب وتتخلص حينما يجد النضال)) .

وقال : لا يكون الأديب يارفائيل في هذا العصر أديبا إلاّ إذا فاز بهم واخر من علم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، وأنت لا في العير من هذه العلوم ولا في النفير . ثم يجب قبل كل شيء على من يريد أنْ يكون نقادا للأدب العربي أنْ يجيد العربية ، ويكون له اطلاع واسع بقواعدها ولغتها ، وأنت الى اليوم لا تكتب مقالا إلاّ تغلط فيه غلطات فضيعة)) .

وأخذ يذكر أخطاءه في مقاله ((ثلاث صور لشعر العراق الحاضر)) ويصححها ومن ذلك مثلا : ((فاذا ما شام عوجا)) وشام لا تستعمل إلاّ فيما يلمع أو يشابه اللمعان ، يقال : ((شام البرق)) و ((شام مخايل النجابة)) أما (العوج) فليس من ذلك .

ومضى في تصحيح أخطائه ، ثم قال : ((وأما القصيدة (منجل الفلاح) ــ هي لعلي الشرقي نظمها سنة ١٩٢٥ ونشرها في جريدة العراق في ٢٧ تموز سنة ١٩٢٦ ــ التي حسبتها طبقا للأدب العصري

فإنّها مفككة الأوصال ، مفعمة بالمبالغات التي تتنافي الأدب العصري كثيرة الغلط)) .

وأخذ في نقد القصيدة ومن ذلك ما قاله في مطلع القصيدة (تنظر في ديوان علي الشرقي ص١٦٣) :

أتراني بين القُرى والنواحي طُفْتُ ظُهْرا وفي يدي مِصْباحي

((قال في مطلعها (أتراني ... طُفْتُ ظهرا) والصواب : أطوف ، فإنّ الماضي المفهوم من طفت لا يناسب الحال المفهوم من ((أتراني)) .

ويبدوا أن نشر هذه المقالة ــ إن لم تكن للزهاوي نفسه ــ كان دفاعا عن الزهاويّ ، إذ جاء في الخاتمة : ((هذا ولم أرد أن أنقد قصيدة الشرقي لولا جعلك يا رفائيل إياها نكاية منك مثالا للتفوق على شعر الزهاوي ، وإذا عدت عدنا الى نقد غيرها)) (٢ / ١٠) .

وعاد الى رفائيل بطي في العدد الثالث (ص٢٢) وقال : ((لقد لامنا كثير من الأصحاب على نشرنا أخطاء رفائيل في مقالاته ، وقالوا : إنّ مجرد ذكره يجعل له قيمة في الأدب ، فالأولى تركه يغلط ويغلط ، ولذلك أغفلنا نشر مقال ضافٍ قد أحضرناه في نقد مقاليه الاخيرين في جريدتَي (العراق) و (الاستقلال) . ولو أنعم القراء النظر فيما نشره في (الاستقلال) و (العراق) قبلا وفي (الاستقلال) أخيرا لوجدوا بونابين الكتابتين ، وهو يدل على أنه نشر مقاله الأخير بعد تصحيحه بقلم استاذه ــ لعله الأب أنستاس ماري الكرملي ــ فإنّ عثراته في المقالات الأُولى أكثر من أنْ تُحصى ، وفي الأخيرة قليلة ، ولكن هناك عثرات في المعنى لم تُصحَّح ، ولذلك تراها بليدة لا قرابة لها من المنطق . ومما يدلك على أنّ الرجل لا يفرق بين القديم والجديد من الأدب أنه أورد قصيدة الأستاذ الرصافي مثالا للأدب العصري تلك التي شحنها بالمبالغات ، والمبالغات تنافي الشعور الذي يطلبه العصر

الحاضر من الشاعر . وليقل لنا رفائيل : هل صدق الرصافي في ادعائه أنه كتب لنفسه عهد تحريرها شعرا ، وأشهدَ على ذلك الدهر ، وأنَّه بعد إتمام كتابته جعل الثريا فوق عنوانه طغرا ــ وأين الثريا من يد المتناول ــ وأنه علق العهد الذي كتبه بذروة (الشعرى) أم هل أعذبه أكذبه . وإنْ كان الاستاذ صادقا في دعواه فلماذا لا يمشي في الطرقات عاريا طبقا لقوله في قصيدته هذه :

إذا كان في عُرْي الجسومِ قباحةٌ فأحسنُ شيءٍ في الحقيقة أنْ تَعْرَى وهو البيت الذي يعده رفائيل لاستاذه ابتكارا لا يطيقه غيره ، ونحن لم نذكر ما ذكرناه إلاّ ليعرف الناس تقدير مثل رفائيل للأدب ومبلغة منه . وربما نقدنا القصيدة برمتها في أحد أعدادنا القادمة)) .

ولم ينشر النقد لأن مجلة ((الاصابة)) توقفت عن الصدور . كان اهتمام رفائيل بشعر الرصافي تقربا من الشاعر وانتهازية ، وقد صرح الزهاويّ بذلك فقال : ((يأمل رفائيل والأثريّ بسببهما لي ، وتحاملهما أنْ ينتخبهما الرصافي عضوين يوم يتبوأ كرسي رئاسة اللجنة للاصطلاحات العلمية في العاصمة)) (ص٣٢) . وكان موقف الزهاوي هذا من رفائيل بطي أنه نشر مقالا في جريدة الناشئة (العدد السابع ــ ٨ حزيران ١٩٢٣م ــ يمتد فيه الرصافي ويزعم أنه سبق في شعره القصصي أو الروائي صاغة القوافي في معاصريه كلهم ، وانفرد بينهم بهذا الأسلوب الفتان وما حواه من الوصف الدقيق والتعبير الرقيق . وهذا ما أثار الزهاوي الذي كان يقول : إنّه أول من نظم الشعر القصصي من العراقيين .

(٣)

وعالج الزهاويّ اللغة وكتب مقالة ((خطر الجمود على اللغة)) (٤ / ٢٥) وقال : ((المحافظون في اللغة كالمحافظين في الأدب ، يتمسكون بالقاعدة ((إبقاء ما كان على ما كان)) ولا يجوّزون أنْ يعتورها شيء من التَّغير مهما كان طفيفا . والمتجددون يُزْرون على المحافظين جمودهم على القديم منها ويرون فكَّ أرجلها من السلاسل التي تربطها بالماضي البعيد ليسير طليقا في تقدمه)) . وذكر أنَّ حجة المحافظين خوفهم من أنْ يؤدي التغيير الى فساد العربية وركوب الشطط فيها وتلاعب الكتاب بها كما تشاء أهواؤهم ، وهناك التبلبل والتقصير في التفاهم . وقال : ((وحجتهم هذه بليدة فإنَّ شيوع الصحف في هذا العصر وسهولة التنقل من بلد الى آخر ، وشدة احتكاك الناس بالناس أسباب لتعمم التغير الصالح في وقت قصير ، فلا محل للخشية من انقسام اللغة واختلاط الألسن)) . وقال إنَّ اللغة ((كالجسم الحيّ يعتورها من حين الى آخر التغير فيزول منها ما يثقل لفظه على اللسان أو يقصرعن تأدية المعنى ، ويشيع ما يخف أو يقوم بوظيفته في التأدية ، وتموت كلمات وتتولد أخرى كما تموت الخلايا في جسد الحيّ ،ويتولد مكانها غيرها . وليست اللغة التي لا يموت منها كل سنة عدد من الكلمات ولا يتولد فيها عدد منها إلاّ ميتة أو سائرة الى البوار)) .

والغربية ــ كغيرها من اللغات ــ قد تطورت واختفت ألفاظ منها ، وقامت مقامها ألفاظ لا تثقل على السان ، وأُخرى تعبر عن المستجدات ، ولكنها ضاقت في عهود الجمود ، والى ذلك عزا الزهاوي تأخر العرب في السباق الاجتماعي لضيق العربية عن الإفصاح عما

استجد في العالم من علم وآلات وأفكار وآداب ، ولم تجمد إلاّ ((لجمود أبنائها ، ولا خطر على اللغة أكبر من هذا الجمود)) .

وأقرّ الزهاويّ أنّ ((للعربية روعة تسحر الأسماع ، وجلالا في أسلوبها مقرونا بالجمال ، ومرونة في اشتقاقها ، ولكن ما قيمة كل أولئك إذا عجزت دون بقية اللغات من تصوير ما ولدته الأيام من المعاني الجديدة ، وبقيت لا تشبع حاجات المجتمع العربيّ في هذا العصر الناهض)) . ودعا الى أنْ يأخذ العرب المعاصرون ما أخذ به القدماء من التّعريب ، وأنْ يقتبسوا من اللغات الغربية الحديثة ألفاظا ، ويحوروها الى ما يوافق الصيغ والأبنية العربية ، ولا ضير في استعمال ((كل كلمة شاعت في الصحف الراقية بقلم كبار الكتاب كالتعاسة ، والزهور ، والأوراد ، والبؤساء ، والعائلة ، والتحرير ، والصحافة ، والقيثارة ، والأثير ، والتطور ، والمكروب ، والراديوم ، والتلفون ، والغرامافون ، والمكرسكوب ، والتلسكوب وغيرها)) .

هذه أهم آراء الزهاوي التي عكستها مجلته ((الاصابة)) وهي تمثل عهده الذي كان بداية النهضة الحديثة في العراق ، وقد تحقق كثير مما دعا اليه بعد ذلك ، واتسعت آفاق اللغة والنقد والأدب .

(٤)

لم يقف الزهاويّ عند هذا في مجلته ، وإنّما نشر بعض المقالات التي تُعبِّرُ عما يؤمن به في الحياة ، وتعبر عما كان العلم عليه في عهده ، وهي :

١ ــ الحياة فوق الارض في المستقبل البعيد : (٢ / ١٢)

تحدث الزهاويّ هذه المقالة عن الحياة التي لم تظهر فجأة فوق الأرض ، وإنّما مرت بأدوار ، وظهر عليها الانسان الذي خضع لقانون

التطور والارتقاء . ولا يستبعد أنْ يتولد منه ((في المستقبل البعيد نوع أرقى منه ــ السبرمان ــ وتكون نسبته الى الانسان كنسبة الانسان الى القرد الشبيه بالانسان أو نصف الانسان الذي وجدوا قحِف رأسه أخيرا)) . وقد يتطور الانسان أكثر من هذا ويصبح قادرا على أنْ يسبح في الفضاء كما تسبح السمكة في الماء ، ((فيعلو وينخفض بتحريك يديه وأرجله طبقا لعملهما في هذا السبح)) .

وستزداد حرارة الأرض ويتغير ((السبرمان أو ما هو أرقى منه الى ما يناسب الحرارة التي يعيش في وسطها بتناوله طعامه من مواد تتحمل الحرارة الشديدة ، ولتشكله في صورة تلائم بيئته ، وكل ذلك يكون تدريجيا)) . ولا يبعد أنْ يكون الحيوان قد تطور في الشمس فهو ((يعيش فيها بعد تطوره بما يلائم حرارتها التي لا يتحملها حيوان الأرض اليوم)) .

ويعتقد الزهاويّ أنَّ ((الشمس لم تتولد من تكاثف السُّدُمِ بل من نمو السيارات بجريان الأثير اليها وهي تبتعد عن المراكز التي كانت تدور حولها كما هو الحال وبقية السيارات اليوم)) . وقد أخذ بنظرية الدفع لا الجذب وقال : ((أمَّا جريان الأثير الى الأجرام فهو ما أُعلل به الدفع الذي يسقط به الأجرام عليها ، والذي أقول به عوض الجذب الشائع عند علماء العصر . وهذا الدفع كما يعلل به سقوط الأجسام تعلل بقية الجاذبيات ، ويعلل المد والجزر المتقابلان في بحار الأرض)) .

٢ ــ حول الأخلاق : (٣ / ١٧)

عزا الزهاويّ رقي المجتمع الى رقي علم أفراده وأخلاقهم ، وأجرى حوارا بين عالمين ، يرى أحدهما أنَّ الأفضل للمجتمع أنْ يتحرر النشئ من قيود الأخلاق ، زاعما أنّها تثقله فيمشي مثقلا ، ويرى الآخر وجوب تعليم كل حسن من الأخلاق .

وعرض الزهاويّ رأي العالم الأول ، وذكر ردّ الثاني الذي قال للأول : ((ليس لما أقضت فيه أيّها المحاور الجريء ظل من الحقيقة ، فما أنت إلا مغالط تلبس الباطل بالحق :

زَيَّنوا الباطِلَ حتى ظَنَّه الناظرُ حقا
إنَّ شعبا جَهِلَ البا طِلَ والحقَّ ليشقى

وقد ركبت في استدلالاتك الشطط ، فما الأمم إلاّ بأخلاقها ، فلذا لم تقيد أخلاق الأمة فهناك الفوضى ، وهناك الاستئثار ، وهناك تفسخ المجتمع)) .

٣ ــ بناء الكون : (٥ / ٣٣ ، ٦ / ٤١)

تحدث الزهاويّ في هذه المقالة عما قاله القدماء عن المادة التي هي قوة ، وهذه القوة هي ((الكهربائية في صور لها مختلفة ، وأنَّ الهيولى للكون واحد هو الأثير وإن اختلفت الصور ، وأنَّ العناصر يتحول بعضها الى بعض ، وأنَّ كل جوهر فرد هو النظام الشمسي في وسطه شحنة صغيرة جدا من الكهربائية الموجبة في النواة ، وتسمى بالبروتون ، وهذه مركز تدور حوله وحدات من الكهربائية السالبة بسرعة فائقة تسمى بالالكترونات ، وأنَّ الاختلاف بين العناصر ناتج عن التفاوت في عدد الالكترونات وحجم البروتونات وكثافتها)) .

وذكر رأيه في الدفع والجذب وقال : ((القاعدة عند علماء العصر أنَّ المادة تجذب المادة ، وهي ــ عندي ــ أنَّ المادة تدفع المادة ، فالشمس تدفع الأَرض أكثر مما تدفعها الأَرض لكبرها ، وكذلك الأَرض والقمر ، وليس في الكون حركة إلاّ عن دفع ، غير أنَّ دفع المادة للمادة أقل من دفع الأَثير للمادة الى المادة)) .

وذكر رأي العلماء في تعليل المدين المتقابلين على الأَرض ، وتعليل بقية الجاذبات بالدفع ، وأَبدى رأيه ، وهو في هذا يريد أَنْ يُثبت

معاصرته وأخذه بالعلم الحديث ، وادعاءه العلم الذي تفوق فيه على معاصريه من العلماء والمفكرين ، وكان يزهو بهذا ويدل على الآخرين كالرصافي الذي قال : ((أخذ يتكلم عني الزهاوي في كثير من المجالس ، بأني أجهل العلوم العصرية ، وهذا الكلام كان ينقل اليَّ فكنت أقول لهؤلاء الناس : أنا والزهاويّ قد تخرجنا من مدرسة واحدة وهي المدارس العلمية الدينية التي كانت موجودة في بغداد ، ولم يكن غيرها وقتئذ ، فإذا كان هو قد تعلم العلوم العصرية من المجلات كالمقتطف وغيرها فأنا ــ أيضا ــ أطالع هذه المجلات ، فما الفرق بيني وبينه . ثم لما تمادى عليّ بهذا الكلام في مجالسه أجبته بهذه الأبيات ...))
(مجلة الثقافة الجديدة ــ العدد الأول ص١٦) .

(٥)

هذه صورة الزهاوي في مجلته ((الإصابة)) التي أنشأها لينشر آراءه الأدبية والنقدية والعلمية ، ويصد الحملات التي كان المحافظون وغيرها يشنونها عليه ، ويرد أقوالهم وتجنيهم عليه . وكان يأمل أنْ يكمل مسيرته على صفحات مجلته لكنها توقفت عن الصدور بعد عددها السادس قبل أنْ يحقق الزهاويّ ما رسم لها من أهداف ، وما أمّل من أنها ((ستنمو وتفرع أغصانها برعاية صاحب الجلالة ملك العراق فيصل الأول)) .

ولعل احتجابها يرجع الى أنها كانت بائسة في حجمها وإخراجها ، وأنها لم تنشر إلاّ مقالات الزهاويّ ونقده وقصائده ، فضلا عن أنها تعرضت لبعض الأدباء كالرصافي والأثري ورفائيل بطي الذين كان لهم أنصار ومؤيدون في المجالس والصحافة ، فضلا عما شنته الصحافة عليه قبل أنْ يصدر العدد الأول منها ، فقد جاء في جريدة

الناشئة (العدد السابع ــ ٨ حزيران ١٩٢٣) : ((يدور على الألسنة أنَّ الاستاذ الزهاويّ عازم على نشر مجلة تختص بالنقد ، فنحن إشفاقا على سمعة الأدب العراقي نطلب اليه أنْ يعدل عن هذه الفكرة خوف الافتضاح ، وإنَّ الناشئة الجديدة بالمرصاد)) .

وشَنَّت جريدة العراق (العدد ١٩٤٣ ــ ١٧ أيلول سنة ١٩٢٦م) حملة شعواء على مجلة الزهاوي بعد صدورها ، وكتب (أ. خالد) مقالا بعنوان : ((أخطأ أم إصابة ؟)) جاء فيه : ((ظهرت يوم الجمعة (١٠ ايلول ١٩٢٦م) ملزمة واحدة بثماني صفحات صغيرة ليس بالمجلة ولا شبه المجلة ، فما اطلع أحد على تلك الوريقات الأربع حتى زاد يقينا بما صَرَّحنا غير مرة . وكان العلة في أن يحمل علينا صاحبنا جميل صدقي الزهاوي هذا الحقد ، بل كان الباعث على نشره هذه الملزمة لينال منا بالطعن والقدح ما ينال ، فطاش سهمه ، ولم تلاقِ أحدا رأى ملزمة جميل إلاّ وهو ساخر آسف حتى لم تتمالك جريدة (الاستقلال) الغراء أن أبدت رأيها فيها بأنها لاشيء ، فظهرت ملزمة جميل أفندي الغريبة في مواليد المجلات حجة عليه)) .

ولعل الكاتب هو رفائيل بطي لأن الزهاوي بدأ العدد الأول من مجلته بالرد عليه ونقد مقاله وكلامه على قصيدة ((منجل الفلاح)) لعلي الشرقي .

وما كان الزهاوي بعد الحملات عليه وعلى مجلته إلاّ أنْ يوقف صدور ((الإصابة)) ، ولكنه لم يتوقف عن بث آرائه وشعره في مقالاته وكتبه ودواوينه ، وظل أنشط المفكرين والشعراء في عهده ، وأكثرهم إثارة للجدل والمعارك الأدبية والخصومات حتى قال عنه أحد الأدباء في جريدة (البرهان) ــ العدد التاسع ــ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٧م ــ : ((لا أعرف شاعرا في الشرق العربي شغل المفكرين

والمتأدبين وأرباب الصحـــف والمطـابع منـذ أربعيـن سـنة غـير الزهاوي)) .

ومهما قيل في مجلة ((الإصابة)) فإنَّها تمثـل وجهـة نظـر الزهاويّ ، وإصراره على تحدي الخصوم ، وهي بعـد ذلـك تـراث صحفي يصور ما كانت عليه الصحافة في عشرينيات القرن العشـرين ، فضلا عن أنها مصدر من مصادر دراسة الزهاوي لأنها وثيقة صحيحـة كان صاحبها ورئيس تحريرها .

وبعـد :

فقد كان الهدف إبراز صورة الزهاوي في مجلته ، وعرض مـا جاء في أعدادها الستة ، لا نقدها ، أو نقد آرائه التي ذكرها ، فهذا أمـر آخر، مجاله البحث في آراء الزهاوي وابداء الرأي فيها .